

النشاط الصناعي بقيصرية (شرشال)

خلال العهد الإمبراطوري الأعلى (40م-284م)

Industrial Activity in Caesarea(Cherchell)

during the the Early Imperial Era

لحرش أمينة¹ ، قفاف بشير²

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون-تيارت،

¹ amina.lahreche@univ-Tiaret.dz

² bachir.gueffaf@univ-Tiaret.dz ، جامعة ابن خلدون-تيارت،

تاريخ الإرسال: 2023/09/26 تاريخ القبول: 2024/05/26 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص باللغة العربية: نسعى من خلال هذه الورقة البحثية، تسليط الضوء على النشاط الصناعي لإحدى مدن الجزائر القديمة إبان الاحتلال الروماني وهي قيصرية (شرشال) التي برزت بها صناعات كثيرة، لنكتشف بذلك مدى اهتمام السلطات الرومانية بهذا القطاع الحيوي. وجدت العديد من العوامل المساعدة في ازدهار نشاطها الصناعي بداية بالعامل الطبيعي فموقعها الاستراتيجي جعلها تتمتع بمناطق زراعية تنتج أنواع عديدة من المزروعات كالقمح والزيتون والكروم بالإضافة إلى حدودها الشمالية المطلة على البحر المتوسط التي زودتها بالثروة السمكية، فكل هذه الخيرات المذكورة ستعمل السلطات على استغلالها وتحويلها إلى مواد قابلة للاستهلاك، ظهرت بقيصرية صناعات أخرى كصناعة الفخار التي لاقت رواجا كبيرا ساعدها في ذلك وفرة المادة الأولية من الطين والصلصال لتصنع على إثرها الأنامل أصناف متعددة تغطية للاحتياجات اليومية للأفراد سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو فنية، كما كان للثروة الحيوانية والمناجم والمحاجر دورا مهما في تنويع الاقتصاد بها حيث ظهرت صناعات مرتبطة بهذه المواد كالنسيج والتعدين والنحت، أما العامل الثاني المساعد في تطور النشاط الصناعي بقيصرية هو العامل البشري فقد أدركت السلطات الرومانية أن العنصر البشري له دور محوري فهو يمثل اليد عاملة وبواسطته تشتغل الورشات والمعاصر لتعمل السلطات جاهدة على

◆ المؤلف المرسل

تسخير كل الإمكانيات فقامت باستصلاح الأراضي وبناء المنشآت والمباني الصناعية لأجل الحصول على منتوجات ذو جودة ومطلوبة في السوق المحلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: قيصرية؛ العهد الإمبراطوري الأعلى؛ الصناعات؛ الورشات؛ المعاصر.

Abstract: In this research paper, many industries emerged in Caesarea, and one of the factors that helped in the flourishing of its industrial activity was the natural factor. Its strategic location made it enjoy agricultural areas that produce various types of crops such as wheat, olives, and vineyards, in addition to its northern borders overlooking the Mediterranean Sea, which provided it with fish wealth. All of these bounties will be exploited by the authorities and converted into consumable materials. Other industries emerged in Caesarea, such as pottery, which gained great popularity, helped by the abundance of raw materials such as clay. The animal wealth, mines, and quarries also played an important role in diversifying the economy, where industries related to these materials emerged, such as textiles, mining, and sculpture. The second factor that helped in the development of industrial activity in Caesarea was the human factor. The Roman authorities realized that the human element plays a pivotal role, as it represents the workforce and through which workshops and mills operate. The authorities worked hard to harness all possibilities, as they reclaimed land and built industrial facilities and buildings in order to obtain high-quality products that are in demand in the market.

Keywords: Caesarea, the Early Imperial Era; industries; workshops; presses; the Early Imperial Era.

مقدمة:

تعتبر قيصرية إحدى أكثر مدن مقاطعة موريطانيا القيصرية رومنة حيث عرفت حركة استيطانية واسعة خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، فقد استقبلت أراضيها الجنود والفنانين ورجال الأعمال والصناع، لتصبح بذلك نموذجا عن المدينة الرومانية في الأراضي الإفريقية. عرفت ازدهار اقتصادي كبير ظهر جليا على نشاطها الصناعي الذي انعكس بالضرورة على مردودها الإنتاجي، فقد سخرت السلطات الرومانية كل الإمكانيات المادية والبشرية كغاية منها للوصول نحو الاكتفاء الذاتي بالمدينة، تعددت التقنيات

والأساليب المطبقة في كل صناعة ومن خلالها تمكننا من معرفة مدى مهارة اليد العاملة المحلية، كما قام ملوكها بجلب حرفيين أجانب فتنوعت اللمسة الحرفية ما بين المحلي والأجنبي، توفرت المدينة على بنايات تحتية مخصصة للعمل كالورشات والمعاصر والمصبغات .

أما الهدف من هذه الدراسة هو: إبراز التنوع الصناعي الذي كان بمدينة قيصرية معتمدين على مجموعة من المعطيات الأثرية التي دلت على ذلك.

وجاءت الإشكالية المحورية لهذا المقال كالتالي: ما هي أهم الصناعات المنتشرة بقيصرية؟ وماهي العوامل المساعدة في ذلك؟ وعن ماذا أسفرت التنقيبات الأثرية بالمدينة بخصوص المجال الصناعي؟

ولهذا اعتمدنا المنهج الوصفي الذي من خلاله قمنا بتقديم مجموعة من المعلومات حول المدينة فيما يتعلق بخصائصها الجغرافية والتقنيات المتبعة في الصناعات، بينما المنهج الثاني المتبع هو المنهج السردى الذي برز دوره من خلال المراحل التاريخية التي مرت بها المدينة.

1- المجال الجغرافي:

نعرض ضمن هذا العنوان مجموعة من العناصر نحدد من خلالها الموقع الجغرافي لشرشال والخصائص الجغرافية له، لنتعرف بذلك على الحدود الطبيعية والتضاريس المتنوعة فتتشكل لدينا صورة عن المكان الذي نحن نريد دراسته، نبين من خلاله أيضا مدى أهمية الموقع الجغرافي للمدينة في جذب العديد من الحضارات.

1.1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة شرشال على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب الجزائر العاصمة بحوالي 9 كلم، تحدها من الجنوب سلسلة من التلال تتخللها غابات كثيرة، أما من الناحية الغربية فنجد رأس تنس، شمالا يحدها البحر الأبيض المتوسط الذي يوفر لها المناخ

المعتدل، ومن الناحية الشرقية نجد جبل شنوة الذي يعتبر حاجزا أمامها يحميها من الرياح العاتية الشرقية¹.

2.1- الخصائص الجغرافية:

تقع شرشال على هضبة من الحجر الرملي يبلغ ارتفاعها حوالي 100 متر وتقع بين البحر والمنحدرات الأولى للجبل، يتميز ساحلها الصخري بمرتفع يبلغ ارتفاعه 20 مترا، توجد بها جزيرة صغيرة متصلة بالساحل منذ الأزل والتي ساهمت في تطوير الموقع خلال العصور التاريخية، بين هضبة الحجر الرملي والمنحدر الشمالي لجبل شرشال يوجد منطقة منبسطة تسمى هضبة الجنوب، تسبق منحدرات غابة بني حبيبة التي تهيمن على المدينة من الجهة الشمالية².

2- نبذة تاريخية عن مدينة شرشال:

نذكر ضمن هذا المحتوى الفترات التاريخية التي مرت بها المدينة، فقد جعلها إنسان ما قبل التاريخ موطنًا له وهذا ما أثبتته الدلائل الأثرية التي عثر عليها المنقبون، لتمر بعدها للحديث عن المرحلة الفينيقية بالمغرب القديم عامة وإيول خاصة، و بسقوط قرطاجة سنة 146 ق.م أصبحت إيول تابعة للمملكة النوميديّة التي حكمها ماسينسا وابنه ميكبسّا، لتأتي سنة 105 ق.م وعلى إثر أحداثها تنقلب الموازين وتحدث تغييرات في خريطة ممالك بلاد المغرب القديم ليصبح الجزء الغربي لنوميديا تابع للمملكة موريطنانية، وكان من أشهر ملوك هذه المرحلة يوبا الثاني الذي حكم موريطنانيا سنة 25 م ليلمع نجمها ويذيع صيتها وتصبح شبيهة بالمدن الرومانية والإغريقية ويصير اسمها قيصرية.

لهذا سنقوم بذكر أهم إصلاحاته هو وابنه بطليموس الذي يوفاته سنة 40 م أصبحت قيصرية إحدى مدن مقاطعة موريطنانيا القيصرية تابعة للإمبراطورية الرومانية يعني المرحلة المباشرة للاحتلال الروماني بالمنطقة.

1- محمد شيباني، الحمامات الغربية بالقيصرية شرشال نموذجا دراسة معمارية، جامعة الوادي، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 2، ع 2، 2018، ص 247.

2 Youcef chennoui, l'histoire de Cherchell par ses monuments Des faits et des légendes, Conférence a café littéraire de la ville de Cherchell, Cherchell, 2018, p2

1.2- عصور ما قبل التاريخ:

استوطن الإنسان القديم مدينة شرشال نظرا لموقعها الاستراتيجي ولهذا مرت بالعديد من الفترات التاريخية، برز دورها مع مجيء الفينيقيين بحكم أن معظم الكتابات قد تناولت ذلك، غير أن الشواهد الأثرية بينت أن التعمير البشري بها كان قبل التواجد الفينيقي حيث وجدت صناعات خاصة بالحضارة الموستيرية والتي تعود للعصر الحجري الأوسط في المنطقة الممتدة بين سيدي غيلاس وحجرة النص كما تم اكتشاف بمنطقة الرأس الأحمر والأبيض والرياض والمسخوطة العديد من الأدوات كالسهام والنصال والكشاطات والحجارة المصقولة والغير المصقولة، كما تم العثور على بعض الأدوات النحاسية في ضواحي المدينة تعود لفترة فجر التاريخ³.

2.2- إيول محطة تجارية فينيقية وقرطاجية:

كان الخروج المبكر للفينيقيين من وطنهم الأصلي نحو اتجاهات مختلفة له دور في إنشاء مراكز ومحطات وموانئ يلتجؤون إليها للراحة ومعاودة الانطلاق نحو مناطق جديدة، لتتحول فيما بعد إلى مراكز تجارية ومستوطنات دائمة والسبب الذي ساعدهم في ذلك المهارة والسلمية التي تحلوا بها⁴.

تعرف هذه المرحلة باسم مرحلة الارتياح والاستكشاف التي بدأت على السواحل المغاربية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد بتأسيس الفينيقيون لمستوطنة أوتيكا على السواحل التونسية وقبلها مستوطنتي قادس ياسبانيا وليكسوس على السواحل الأطلسية بالمغرب سنة 1010 ق.م، لتأتي بعدها مرحلة الاستيطان التي تعتبر مرحلة مكملية للأولى تترجم بتحويل تلك المحطات التجارية المؤقتة إلى مستوطنات دائمة وكانت أهم نتيجة حدثت جراء الهجرة الكبرى خلال أواخر القرن 9 ق.م تأسيس قرطاجية (كارت حدثت) على الساحل التونسي⁵، فالموقع الاستراتيجي لقرطاجية الذي يتوسط ساحل إفريقيا الشمالي لفت بدوره انتباه الفينيقيين بضرورة إنشاء مراكز تجارية أخرى على الضفة الغربية له.

3 زولبخة تروشين، مدينة شرشال إطلالات تاريخية وحضارية، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، مج9، ع2022، ص3، ص683-684

4 جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب: عبد الحفيظ ميار، أحمد اليازومي، ط1، الناشر الرجباني، ليبيا، 1972، ص23.

5-عبد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، د.ط، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص ص42-43

ولهذا بادر الفنيقيون على الفور بإقامة مستوطنات على امتداد السواحل الجزائرية، تمثل الجزائر للفينيقيين منطقة عبور أساسية بين المراكز التجارية البعيدة للأطلسي وأيضا منارة مراقبة للسفن المتوجهة نحو الجنوب والشمال وعلى إثر هذا أقاموا العديد من المحطات على امتداد سواحلها⁶.

اعتبر الفنيقيون محطة أيول إحدى أهم الأسواق ومراكز التموين على الساحل المتوسط بسبب موقعها الاستراتيجي⁷ أقام بها ميناء خلف جزيرة صغيرة قريبة من الأرض وهي اليوم جزيرة join ville شكلت هذه الجزيرة حاجزا للأمواج وملجأ آمن في حالة ما تم الهجوم من السكان الأصليين، يرجع تاريخ تأسيسها للقرن 4 ق.م، لتحمل هذه المحطة خلال العهد الفينيقي والقرطاجي اسم إيول نسبة لإله فينيقي⁸.

ربطت بين البحارة الفنيقيين وسكان مدينة إيول علاقات تجارية متينة، لأن الشواهد الأثرية والنقوش بينت التأثيرات الدينية والصناعية التي كانت بين الطرفين، حيث وجد المنقبون قرب الميناء لوحة نذرية لبعلاحامون وصنج برونزي وثلاث كتابات بونية في المقبرة الغربية⁹.

3.2- الحكم المحلي للمدينة:

أصبحت إيول بعد سقوط قرطاجة تحت سلطة ملوك محليين بداية بالملك ماسينسا، لتنتقل بعد وفاته لابنه مكيسا المذكور في نقش فينيقي قد تم العثور عليه في شرشال¹⁰

لم تعد إيول سنة 105 ق.م تابع للمملكة النوميدية لأنها دخلت ضمن حكم جديد وهو الحكم الموريطاني.

6محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص 43

7شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير سلامة، ط.4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 109

8Stéphane Gsell, Promenades Archéologique aux environs d'Alger, les belles lettres, paris, 1926, p7

9 Philipe leveau, cesararea Maurétanie une ville romaine et ses campagnes, école française de Rome, Rome, 1984 p11

10Stéphane Gsell, op cit, p7

وذلك بعدما تمكن بوخوس الأول من إلحاق الثلث الغربي من نوميديا بالمملكة الموريطانية نظير مساعدته للرومان في هزيمة يوغرطة واعتبروه صديقا لهم توفى بوخوس الأول عام 80 ق.م. فانقسمت موريطانيا إلى مملكتين مملكة الغربية يرأسها بوغود (Bgud) وموريطانيا الشرقية يحكمها بوخوس الثاني، غاية ما نصب أغسطس عام 25 ق.م. يوبا الثاني¹¹

يوبا الثاني هو ابن يوبا الأول الذي أخذه قيصر نحو روما بعد هزيمة أبيه في معركة ثابسوس سنة 46 ق.م.، ليكبر ويتربى في وسط روماني محض، كان الإمبراطور يكلفه بالعديد من المهمات المدنية والعسكرية التي كان يؤديها على أحسن حال، ليعينه أغسطس قيصر سنة 25 ق.م. ملكا على موريطانيا¹² ليطلق بدوره على عاصمة المملكة اسم القيصرية¹³.

عرفت عاصمة المملكة في عهد يوبا الثاني ازدهارا كبيرا فقد أنشئت بيها العديد من المرافق كالمدج الفخم المسرح والحمامات... إلخ، توفي يوبا الثاني ليخلفه ابنه بطليموس على الحكم سنة 23 م الذي سار على نفس نهج أبيه، قتل على يد كاليغولا بسبب الغيرة التي تملكته حينها رأى رداء بطليموس الأرجواني فهذا اللباس مخصص للإمبراطور فقط وبهذا بطليموس خالف القوانين فوجب قتله¹⁴.

4.2- قيصرية في الفترة الرومانية:

بعد وفاة بطليموس سنة 40 م سقطت قيصرية وألحقت المملكة الموريطانية بالإمبراطورية الرومانية، لتقسم إلى مقاطعتين موريطانيا الطنجية عاصمتها طنجة وموريطانيا القيصرية عاصمتها القيصرية وتصبح مستعمرة رومانية، لتشهد هذه المدينة تطورا كبيرا خلال القرن 2 و3 م دلت على ذلك تنوع مظاهرها الحضارية وتعدد أنشطتها الاقتصادية، غير أن بعد القرن الثالث تغيرت الأوضاع لتعرف قيصرية تدهور وانحطاط

¹¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 162-163

¹² عبد الحميد شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سليلي، دط، صدر عن وزارة الثقافة، 2007، الجزائر، ص 26-27

¹³ سترابون، الجغرافيا، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، ج 17، الفقرة 12، ط 1، دار علاء الدين، دار ومؤسسة رسلان، سوريا، 2007، ص 396

¹⁴ أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، د. ط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 145

فبحرق سنة 372م على يد الأمير الموريتاني فيرموسليتم بناءها بعد ذلك على يد تيرودرس¹⁵.

3- الصناعات المنتشرة بقبصرية (شرشال):

1.3- الصناعة الغذائية:

قسمت منطقة شرشال لمنطقتين زراعتين الأولى موجودة بضواحي المدينة أي بمحيطها وكانت خاصة بالبستنة السبب في ذلك أن الخضروات كانت من بين المواد الاستهلاكية المطلوبة في السوق فزراعتها عن قرب يسهل عليهم رعايتها وأيضا نقلها بسهولة نحو الأسواق لأجل بيعها، أما المنطقة الثانية وهي الأطلس الشرشالي الذي كان خاص بزراعة الزيتون فمنطقة التلال والجبال الداخلية قد توافقت تربة أراضيها مع هذه الزراعة¹⁶.

يعتبر الزيتون من أهم منتوجات الصناعة الغذائية لهذا توفرت كل الوسائل بالمدينة حتى يتم إنتاج زيت ذو جودة وهذا وفقا لمراحل يبدأ أولا العاملون بجني الزيتون مع بداية شهر ديسمبر، وللجني عدة طرق إما باستخدام العصي لأجل إسقاط الثمرة أو عن طريق القطف باليد وهي أحسن طريقة بحيث يحافظون على الثمرة ومحتواها بعدها يقومون بتنظيفه وتجفيفه ليحمل نحو المعصرة أين سيطحن فيوضع داخل معصر ويضغط عليه بشدة، وبعد مدة من الزمن تفتح المعصرة ليضاف إليه سدي كيل من الملح الغليظ ليتواصل بعدها العمل باستخدام المدق Mola Olearia وعند الانتهاء من العصر تجهز أحواض دائرية أو أحواض من الطين حتى يصب فيها الزيت¹⁷.

فقد وجدت بقبصرية ثلاث أنواع من المدقات:

نوع المدقة	العدد
Molaolera	4
Trepum	4

15 زوليخة تكروشين، المرجع السابق، ص 685

16 Philipe leveau, op cit, pp466

17 هاجر شيخي، أوكيل صبيحة، الزيتون والزيت في نوميديا وموريطانيا القيصرية خلال الاحتلال الروماني، مجلة روافد، جامعة تموشنت، مج 6، ع 3، 2022، ص 984-984

11	Tudicula
----	----------

الشكل رقم (03) جدول يوضح أنواع الهدقات المكتشفة بقيصرية

المصدر: خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية في موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، رسالة لنيل الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة وهران، 1996، ص 156-157

ومن خلال المسح السطحي بمدينة قيصرية تم الكشف عن بقايا معاصر الزيت، النوع الأول يعبر عن المعاصر الكبيرة التي تضم على الأرجح العشرات من وحدات العصر وهذا قد وجد بفيلات متخصصة، والنوع الثاني من معاصر الزيت بالفيلات تضم ثلاث أو أربعة مكابس مجمعة بحي من المزرعة، والنوع الثالث من المعاصر ذات مكبس واحد موزعة في الريف وتكون قريبة من كل منزل، يكمن الفرق فيما بينها معاصر الزيت الكبيرة المتخصصة ظهر وجودها من نهاية القرن الأول إلى غاية القرن الثالث الميلادي بينما معاصر الزيت ذات المكبس الواحد وجودها يمتد عبر كافة الأزمنة¹⁸.

انتشرت معاصر الزيتون ذات التخطيط المتشابهة أرجاء الأطلس الشرشالي الشمال بمنطقة بوغني وسيدي حدو وهندلة وفي الجنوب بموقع تاوريون، بالإضافة إلى عدد كبير من المنشآت المعزولة أو التابعة للمزارع الصغيرة.

لا يمكننا إنكار زراعة الزيتون في السهل والساحل هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكننا أيضا المقارنة بين المنشآت بالأطلس الشرشالي ومنطقة السهل والساحل خاصة فيما يتعلق بالناحية الكمية، فمعاصر المنطقة الساحلية قد وجدت بتلال بوروخ والمنحدر الجنوبي لجبل شنوة والمنحدر الجنوبي لجبل رباي ماميلون ومنشآت مزارع هضبة سيدي موسى

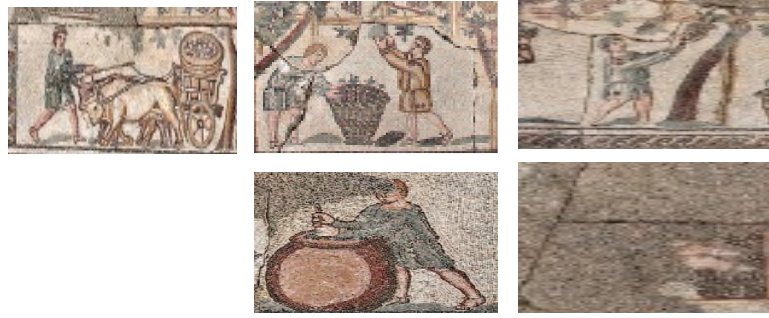
أهملت الدراسات الأثرية في المشهد الزراعي زراعتين أساسيتين الأولى زراعة الحبوب والتي كانت تشغل مساحة من المنحدرات الفقيرة للمنطقة وأيضا منطقة السهول والهضاب الساحلية¹⁹ فالمستثمرات الزراعية المعروفة في العصر الروماني والتي كان من

18Philippe leveau, «Caesarea Mauretaniae», Encyclopédie berbère, 11, 1992, p6

19Philippe leveau, cesararea Maurétanie une ville...., p466

بينها فيلاي ارتكز نشاطها على زراعة الحبوب والزيتون وجد هذا النوع من الملكيات الزراعية يشغل مساحة دائرية حول قيصرية يبلغ قطرها حوالي 15 كيلومتر في الشمال على البحر توجد منطقة محددة أثريا عثر بها على فيلات متباعدة بانتظام على السهل الساحلي والوديان، وموزعة أيضا على الوديان المنحدرة، استهلك سكان قيصرية مادة الخبز بشكل يومي حيث وجد بها عدد كبير من المطاحن²⁰.

انتشرت زراعة الكروم بقيصرية الأمر الذي أدى إلى استغلال منتوجاتها في صناعة الخمر فلوحات الفسيفساء قد دلت على العملية التحويلية للعنب فرسمت لنا بذلك مشاهد عبرت من خلالها عن مراحل التصنيع، بداية من قطف العنب حيث ظهر لنا من خلال فسيفساء قطاف العنب المحفوظة بمتحف شرشال، أشخاص ذو بنية قوية يقومون أولا بقطف العنب ثم يضعونه في سلة كبيرة لتحمل على عربة تجرها ثيران ليقوموا في الأخير بدعسه وعصره، نلاحظ من خلال الجزء التالف للوحة أرجل شخص يقوم بدعس العنب داخل حوض²¹ ليتحصل على عصير يعرف باسم le mout الذي ينفذ عبر فتحات كبيرة موجودة على الجانب الداخلي للحوض نحو جرات كبيرة موجودة بالقرب منه²²



العنوان: فسيفساء قطاف العنب (عمليات نقل وتحويل العنب لنبيذ)

20Philippe leveau, Caesarea..., pp 6-7

21 Sabah Fardi, Corpus des mosaïques de Cherchell, études d'Antiquités Africaines, 2005, p69

22 سارة رمضان وآخرون، زراعة الكروم وتصنيع الخمر من خلال فسيفساء موريطانيا القيصرية، مجلة الآثار، جامعة الجزائر، مج 10، ع 1، ص 19

المصدر: سارة رمضان وأخرون، المرجع السابق، ص 23.

تعتبر سواحل قيصرية من أغنى السواحل الجزائرية بالثروة السمكية لذا ظهرت بالمدينة صناعات كتمليح السمك والغاروم.

قام اثنان من علماء الآثار الإنجليز د.ب. ديفدسونوغ.أ. يورك بالمسح تحت الماء بساحل الجزائري، غير أن في ساحل شرشال وعلى شرق رأس تيزرين عثرا على أساسات مستطيلة مغمورة بالمياه، وأغلب الظن أنها أحواض خاصة بالأسماك، ثلاث منها محاطة بجدران جزءها الداخلي مملوء بالحجارة، اثنان منها مزودة بصمامات، الأول يتكون من خمسة أحجار متوازية الأضلاع تموضعت على ارتفاع 15سم تحت مستوى البحر وتزحزح بمقدار 2سم لتغطية الثقب بقطر 1متر، الصمام الثاني ذو لوح حجري واحد به تجاويف نصف أسطوانية رأسية متناظرة، بين هذه التجاويف فتحات.

في منحدر تم ترتيب أربع أحواض أخرى أشارت الأبحاث أنه قد تم ربطها بالهياكل المغمورة، فسرها لوفو على أنها أحواض تمليح لتشكل مع أحواض السمك المغمورة مجمعا واحد، الأحواض الأربعة مربعة الشكل بقياس 2متر وعمق 2متر، مقسمة إلى مجموعتين كل مجموعة بها حوضين الفاصل بين المجموعتين جدار لا يزيد عن 20سم، يفصل بين الحوضين جدار بعرض 0,40م، أما الجدران الجانبية نجد بأن الجدار الشمالي بقي محفوظ جزئيا بلغ سمكه 0,40م، والجدار الجنوبي تحطم بشكل كامل، المسافة بين الحوض 1,5م²³.

قام العلماء بالتنقيب في الموقع الأثري الواقع بين تيبازة وشرشال المعروف باسم جزر ثلاث (trois ilots) في عامي 1955-1957م والذي أسفر عن إيجاد كنيسة ومقبرة صغيرة ومنزل كبير ذو مساحة كبيرة حوالي 1800م مربع به حمامات خاصة ورواق ومنشآت متعلقة بالصناعة الغذائية كتمليح الأسماك ومعصرة نبيذ.

عثر المنقبون في الجزء الشمالي منه على 5 أحواض خاصة بتمليح السمك بالإضافة إلى خزان، لتكشف بعدها أبحاث معهد الآثار لجامعة الجزائر 2 عن أربع أحواض إضافية توزعت في ثلاث جوانب.²⁴

23Touatia AMRAOUI ., L'artisanat dans les cités antiques de

l'Algérie, Thèse de doctorat, Université Lumière Lyon 2. 2013,p33

24TouatiaAmraoui Les ateliers antiques de transformation de poissons en Algérie : typologie, localisation et échelles de

2.3- صناعة الفخار:

تطورت صناعة الفخار بقبصرية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى خاصة فيما يتعلق بالتقنيات وأدوات الصنع والورشات، ليظهر بذلك نوع خاص يدعى السيجيلي الإفريقي الذي انتشر بها بشكل كبير.

في حين أن المؤرخين وضحو بأنه ليس النوع الوحيد المنتشر آنذاك فقد وجد بها صنف آخر يعرف باسم الفخار العادي الذي يتسم بطابعه المحلي المتوارث من خلال الأجيال السابقة الذي صنع من طرف النسوة بإمكانيات بسيطة له عدة أشكال فقد وجدت له أشكال مفتوحة كالصحون والقدور والتي كانت مخصصة للطهي²⁵ وأشكال أخرى مغلقة والتي استعملت للتعبئة من أجل التخزين والتوزيع والتي كان من ضمنها جرار ذات جدران سميكة تعرف باسم دوليا التي استخدمت لأجل الحفاظ على السوائل كالخمر والزيت ولتخزين بها أيضا الحبوب والبقوليات²⁶ أما النوع الثاني يعرف بالأمفورات التي كانت لها وظيفتين التخزين والتوزيع استخدمت في النقل البحري والنهري لحمل المنتجات الثلاث الرئيسية المتمثلة في الخمر والزيت وموالمح السمك، كما أنها حملت منتجات أخرى كالفواكه، يمكن إعادة استخدامها في أعمال البناء بعد إفراغ المحتوى المخزن بها²⁷.

أما الصنف الأكثر انتشار هو الفخار السيجيلي الإفريقي الذي وجد بها وبأنماطه ثلاث A.C.D، الذي عبر عن تطور صناعة الفخار بإفريقيا الرومانية، الذي بدأ إنتاجه إلى نهاية العصر الفلافي²⁸.

production, Archéologies méditerranéennes, Presses Universitaires de Provence, 2021, p 236

25 جميلة خالفي، بنت النبي مقدم، صناعة الفخار في الجزائر القديمة، المجلة المغاربية للمخطوطات، الجزائر 2، مج 18، ع 01، ص 38

26 Michel Py, Doliums, dictionnaire des céramiques antiques (VIIe s. av. n. è.-VIIe s. de n. è.) en Méditerranéenord occidentale (Provence, Languedoc, Ampurdan), édition pour la recherche archéologie en Languedoc oriental, lattes, 1993 p 402

27 رياض الورفلي، أمفورات متحف جنزور (طرابلس - ليبيا)، مجلة لبدة الكبرى، جامعة ليبيا، مج 45، ع 2010، 1، ص 102-103

28 Jean Deneauve, Céramique et lampes Africaine sur la coté de province, T6, 1972, p 219

قدم فريدريك تريمونت بدراسة خاصة للفخار المكتشف من طرف لوفو بمقبرة محطة الحافلات في شرشال جاء على إثرها مجموعة معطيات حددت أنواع عديد من أنماط الفخار: الفخار العادي بنسبة 58,7%، 17,7% والأمفورات 17,7%، الفخار السجيلي 8%، 13%، الفخار العادي تحدد من خلاله ثلاث فئات رئيسية الأولى الفخار العادي فاتح اللون 21%، وأواني الطبخ الإفريقية 9,1% والباقي فخار مؤكسد ما بين 4% و 15%، الفخار السجيلي هيمن نوع الفخار السجيلي الإفريقي نوع A بنسبة 12% عن باقي أنماط السجيلي حيث شكلت 0,6% بشكل فردي (جدران رقيقة، فخار سجيلي الايطالي، فخار سجيلي الغالي، فخار السجيلي الإفريقي نوع C، الفخار السجيلي نوع D)، أما الأمفورات فقد أظهرت نسبة 5,6% تتعلق بالأمفورات الإفريقية والبتيكية 3,3%.²⁹

3.3- صناعات أخرى:

أجريت مجموعة من التنقيبات في المنطقة قايد يوسف التي عثر بها على معالم مهمة كمعبد وفيللا كبيرة مساحتها 3600 متر مربع، واستكمالا للمستطيل الذي تشغله الفيلا وفي الجنوب نجد مجموعة متاجر التي تفتح تحت رواق ديكومانوس، و مجموعة مبان ذات طابع صناعي تم العثور بها على أفران الزجاج وأفران الفخار ومصبغة ملابس³⁰.

وللتفصيل أكثر حول صناعة الزجاج لابد لنا من فهم طريقة التصنيع التي تتم على مرحلتين الأولى بالورشات الأولية التي تعمل على دمج المكونات وصهرها على درجة عالية وبأفران متخصصة، والمرحلة الثانية تكون بالورشات الثانوية التي ينقل لها الزجاج الخام ليحولها إلى مصنوعات³¹، فمن خلال التعريف نستنتج أن مدينة قيصرية كان بها ورشة

29Frédéric Tremont, Annexe : étude des céramiques, Antiquité africaine, 35,1999, p115

30J.Lassus, l'archéologie algérienne en 1959et 1960, Revue Africaine, 105, 1961, p44

31Foy Danièle. Technologie, géographie, économie : les ateliers de verriers primaires et secondaires en Occident. Esquissed'une évolution de l'Antiquité au Moyen Âge. In: La Route du verre. Ateliers primaires et secondaires du second millénaire av. J.-C. au Moyen Âge, Travaux de la Maison de l'Orient méditerranéen, 2000, p151

ثانوية فلم يثبت توفر مواد الأولية للتصنيع من رمال ونطرون حتى يتسنى لهم بناء ورشة أولية بالمدينة.

كان التعدين من الصناعات المنتشرة بالمدينة وهذا ما أظهرته شواهد القبور لأشخاص اشتهروا في حياتهم حرف متعلقة بالصناعة المعدنية، كصانع الفضة والمجوهرات والصناديق³² فالمادة الأولية متوفرة بمناجم مقاطعة موريطانيا القيصرية وأيضا لا تتطلب المهنة يد عاملة محترفة على عكس صناعة الزجاج التي تتطلب احترافية عالية وورشات عمل متخصصة.

تزينت المدينة بتحف فنية دلت عن انتشار ورشات النحت بها التي كانت بأيادي أجنبية ومحلية، توفرت المدينة على مقالع كالتى وجدت بجبل شنوة استفادوا منها قبل مجيء الرومان³³، غير أن العلماء وبعد عمليات التعرف بالعين المجردة اكتشفوا أن معظم المنحوتات قد أنتجت برخام مستورد مصدره إيطاليا واليونان بحيث أشاروا إلى رخام كارارا، بنتليك، باروس، تاكسوس، ثابسوس، وفريجيا، ويبقى من الصعب تمييز الاختلاف فيما بينهم بدقة، غير أننا نجد بعض التماثيل كان رخامها من مصدر إفريقي، فاحتياجات المدينة من بناء وتزيين لا يمكن أن تكون كلها قد صنعت برخام مستورد³⁴

أمثلة عن أحد تماثيل القرن الأول ميلادي (تمثال هرقلس)

نحت برخام إفريقي (ارتفاع 2,41م)، تمثال للإله بعد انتصاره على تنين الهسبريدس المصور بأفعى ميتة على جذع الدعم، اليد اليسرى ممدودة إلى الأمام كانت حاملة على الأرجح التفاحات الذهبية، اليد اليمنى تستند على عصي التي كانت مستقرة على الأرض.

القطع المفقودة: الذراع اليمنى من الكتف، الساعد الأيمن، الساقان مكسورتان.³⁵

32Philippe Leveau, *cesararea Maurétanie une ville....*, p68

33Ph. Leveau, *op cit*, p439

34Mahfoud Ferroukhi, *HISTOIRE ARCHÉOLOGIE ET STATUAIRE DE CHERCHELL, ANTIQUE IOL-CAESAREA : NOUVELLES CONSIDÉRATIONS*, B. A. A, TVIII, 2020, p127

35Emile ESPÉRANDIEU, *CATALOGUE DU MUSÉE DE CHERCHELL*, TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger, 1902, p25



العنوان: تمثال هرقلس

Source : Emile ESPÉRANDIEU, op cit, p27

الخاتمة:

تعاقب على مدينة شرشال حضارات عديدة نظرا لمقوماتها الطبيعية فالمدينة احتوت على سواحل تتخللها الخلجان والرؤوس والمناطق الجبلية التي تغطيها الغابات والأراضي الزراعية .

صارت إيول خلال القرن 4 ق.م إحدى أهم المستوطنات الفينيقية والقرطاجية، لتتغير الأحداث بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م لتدخل ضمن الأراضي التابعة للمملكة النوميديّة الموحدة ليتعاقب على حكمها ملوك نوميد لغاية سنة 105 ق.م تغيرت الخريطة السياسية للمغرب القديم وتنقسم نوميديا ويصير جزء منها تابع للمملكة الموريطانية وإيول من ضمنه، كان من أهم ملوك موريطانيا يوبا وابنه بطليموس الذي تم اغتياله من طرف الامبراطور كاليغولا سنة 40م لتقسم المنطقة إلى مقاطعات وتصير قيصرية عاصمة مقاطعة موريطانيا القيصرية.

تعتبر الصناعة من بين أهم الأنشطة الاقتصادية تتكرس فيها الجهود لإنتاج مواد جديدة ينتفع بها الفرد والمجتمع فعلى هذا ظهرت بقبصرية صناعات متنوعة كالصناعة الغذائية التي ارتبطت بالنشاط الزراعي بالمدينة فلقد توفرت بها المحاصيل الزراعية التي بالإمكان تحويلها لمواد استهلاكية كالخبز والزيت والخمر فعلى هذا ظهرت المطاحن ومعاصر الزيت النوع الصغير والكبير، كما أظهرت فسيفساء شرشال مراحل تصنيع الخمر، وغنى ساحلها بالأسماك جعلها تنشأ أحواض التمليح.

ومن بين أهم الصناعات الأكثر انتشارا واستمرارية صناعة الفخار التي بقيت تعبر عن الموروث الحضاري للمدينة ليظهر بها نوعان النوع الأول الفخار العادي الذي يتسم بالبساطة والإتقان اتخذ عدة أشكال المفتوحة والمغلقة، أما النوع الثاني وهو السيجيلي الإفريقي الذي أعيد تشكيله وفقا للتقنية المحلية، وجد بها بأنماطه ثلاث A,C,D تميز بلونه الأحمر البرتقالي وزخرفته الجميلة

كشفت الدراسات الأثرية عن أنواع أخرى من الصناعات بها، وفقا لما عثر عليه من آثار فقد وجدت بها مصبغة للملابس وأفران خاصة بصناعة المعدنية وصناعة الزجاج كما انتشرت المحاجر على أراضيها أدت إلى ظهور ورشات للنحت.

قائمة المصادر والمراجع:

- أندري جوليان شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير سلامة، ط.4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983
- تكروشين زوليخة، مدينة شرشال إطلالات تاريخية وحضارية، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، الجزائر، مج9، ع2022، ص3 ص682-693
- حارش عبد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، د.ط، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992،
- خالفي جميلة، بنت النبي مقدم، صناعة الفخار في الجزائر القديمة، المجلة المغاربية للمخطوطات، الجزائر، مج2، الجزائر، ع18، ص01 ص38-49
- رايت جون، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب: عبد الحفيظ ميار، أحمد اليازومي، ط.1، الناشر الرحباني، ليبيا، 1972
- رمضانية سارة وآخرون، زراعة الكروم وتصنيع الخمر من خلال فسيفساء موريطنيا القيصريّة، مجلة الآثار، جامعة الجزائر، مج10، ع1، ص15-26
- سالستوس، حرب اليوغرطية، (الحرب ضد يوغرطة) ترجمة: محمد المبروك دويب، د.ط، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، الفقرة 19

سترايون، الجغرافيا، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، ج17، الفقرة12، ط1، دار علاء الدين، دار ومؤسسة رسلان، سوريا، 2007

سليمان أحمد، تاريخ المدين الجزائرية، د. ط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007

شهو عبد الحميد، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سلمي، د. ط، صدر عن وزارة الثقافة، 2007، الجزائر

شيخي هاجر، أوكيل صبيحة، الزيتون والزيت في نوميديا وموريطانيا القيصرية خلال الاحتلال الروماني، مجلة روافد، جامعة تموشنت، الجزائر، مج6، ع3، 2022، ص ص 975-992

شيباني محمد، الحمامات الغربية بالقيصرية شرشال نموذجا دراسة معمارية، جامعة الوادي، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية الجزائر، مج2، ع2، 2018 ص ص 245-273

قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993
منصوري خديجة، التطورات الاقتصادية في موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، رسالة لنيل الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة وهران، 1996

AmraouiTouatia Les ateliers antiques de transformation de poissons en Algérie : typologie, localisation et échelles de production, Archéologies méditerranéennes, Presses Universitaires de Provence, 2021, pp234-243

AMRAOUI Touatia ., L'artisanat dans les cités antiques de l'Algérie, Thèse de doctorat, Université Lumière Lyon 2. 2013

Chennoui Youcef, l'histoire de Cherchell par ses monuments Des faits et des légendes, Conférence a café littéraire de la ville de Cherchell, Cherchell, 2018, pp 1-16

Deneauve Jean, Céramique et lampes Africaine sur la coté de province,T6, 1972,pp219-239

ESPÉRANDIEU Emile, CATALOGUE DU MUSÉE DE CHERCHEL, TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR, 1902, Alger.

Ferroukhi Mahfoud, HISTOIRE, ARCHÉOLOGIE ET STATUAIRE DE CHERCHELL, ANTIQUE IOL-CAESAREA : NOUVELLES CONSIDÉRATIONS, B. A. A, TVIII, 2020, pp101-148

Foy Danièle. Technologie, géographie, économie : les ateliers de verriers primaires et secondaires en Occident. Esquisse d'une évolution de l'Antiquité au Moyen Âge. In: La Route du verre. Ateliers primaires et secondaires du second millénaire av. J.-C. au Moyen Âge, Travaux de la Maison de l'Orient méditerranéen, 2000, pp147-170

Gsell Stéphane Gsell, Promenades Archéologique aux environs d'Alger, les belles lettres, paris, 1926.

Lassus J, l'archéologie algérienne en 1959 et 1960, Revue Africaine, 105, 1961 pp 438-446.

Leveau Philippe, « Caesarea Mauretaniae », Encyclopédie berbère, 11, 1992, pp 01-10

Leveau Philippe, Caesarea Maurétanie une ville romaine et ses campagnes, école française de Rome, Rome, 1984

Py Michel, Doliums, dictionnaire des céramiques antiques (VIIe s. av. n. è.-VIIe s. de n. è.) en Méditerranée nord occidentale (Provence, Languedoc, Ampurdan), édition pour la recherche archéologie en Languedoc oriental, lattes, 1993

Sabah Fardi, Corpus des mosaïques de Cherchell, études d'Antiquités Africaines, 2005

TREMENT FRÉDÉRIC, ANNEXE : ÉTUDE DES CÉRAMIQUES, ANTIQUITÉ AFRICAINE, 35, 1999, pp 115-127